

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع

أحرف القسم .

و حكى عن بشر المريسي فيمن قال و الرحمن أنه إن قصد اسم اﷻ تعالى فهو حالف وإن أراد به سورة الرحمن فليس بحالف فكأنه حلف بالقرآن وسواء كان القسم بحرف الباء أو الواو أو التاء بأن قال باﷻ أو واﷻ أو تاﷻ لأن القسم بكل ذلك من عادة العرب وقد ورد به الشرع أيضا قال اﷻ تعالى : { و اﷻ ربنا ما كنا مشركين } و قال : { و تاﷻ لأكيدين أصنامكم } و قال تعالى خيرا عن إخوة يوسف : { قالوا تاﷻ تفتأ تذكر يوسف } و قال عز و جل : { تاﷻ لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك } و قال عز و جل : { و أقسموا باﷻ } و قال عز و جل : { ويحلفون باﷻ } تعالى .

وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [لا تحلفوا بآبائكم و لا بالطواغيت فمن كان منكم حالفا فليحلف باﷻ أو ليدع] إلا أن الباء هي الأصل و ما سواها دخيل قائم مقامها فقول الحالف باﷻ أي أحلف باﷻ لأن الباء حرف إلصاق و هو إلصاق الفعل بالاسم و ربط الفعل بالاسم و النحويون يسمون الباء حرف إلصاق و حرف الربط و حرف الآلة و التسبيح فإنك إذا قلت كتبت بالقلم فقد ألصقت الفعل بالاسم و ربطت أحدهما بالآخر فكان القلم آلة الكتابة و سببا يتوصل به إليها فإذا قال باﷻ فقد ألصق الفعل المحذوف و هو قوله أحلف بالاسم و هو قوله باﷻ وجعل اسم الآلة للحلف و سببا يتوصل به إليه إلا أنه لما كثر استعمال هذه اللفظ أسقط قوله : أحلف و اكتفى بقوله : باﷻ كما هو دأب العرب من حذف البعض و إبقاء البعض عند كثرة الاستعمال إذا كان فيما بقي دليلا على المحذوف كما في قولهم باسم اﷻ و نحو ذلك و إنما خفض الاسم لأن الباء من حروف الخفض و الواو قائم مقامه فصار كأن الباء هو المذكور و كذا التاء قائم مقام الواو فكان الواو هو المذكور إلا أن الباء تستعمل في جميع ما يقسم به من أسماء اﷻ و صفاته .

و كذا الواو فأما التاء فإنه لا يستعمل إلا في اسم اﷻ تعالى تقول : تاﷻ و لا تقول : تا الرحمن و تعزة اﷻ تعالى لمعنى يذكر في النحو و لو لم يذكر شيئا من هذه الأدوات بأن قال : اﷻ لا أفعل كذا يكون يمينا لما روي [: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف ركانة بن زيد أو زيد بن ركانة حين طلق امرأته البتة و قال : و اﷻ ما أردت بالبت إلا واحدة] و به تبين أن الصحيح ما قاله الكوفيون و هو أن يكون بالكسر لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اﷻ بالكسر و هو أفصح العرب صلى الله عليه وسلم و كذا روي عن ابن عمر وغيره من الصحابة أنه سأله واحد و قال له : كيف أصبحت قال خير عافاك اﷻ بكسر الراء .

و لو قال : ﷲ هل يكون يمينا لم يذكر هذا في الأصل و قالوا إنه يكون يمينا لأن الباء
توضع موضع اللام يقال آمن با ﷲ و آمن له بمعنى قال ﷲ تعالى في قصة فرعون : { آمنتم له {
و في موضع آخر { آمنتم به { و القصة واحدة .
ولو قال : و ربي و رب العرش أو رب العالمين كان حالفا لأن هذا من الأسماء الخاصة
با ﷲ تعالى لا يطلق على غيره